المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــــاض - حـــــي سلطـانة

دليل ٢
المستوى الثاني
جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

التعليق على كتاب

حلية طالب العلم

للشيخ:

د. أحمد بن حمد الونيس

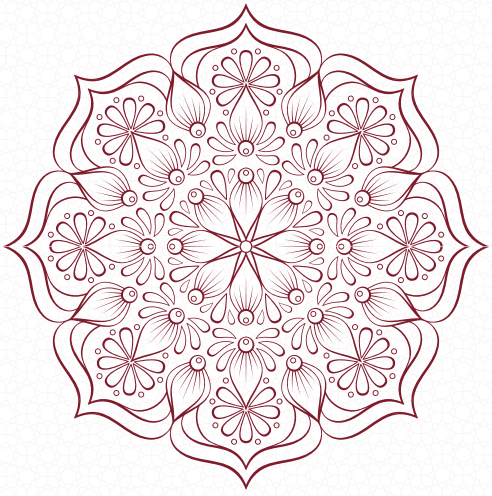

التعليق على حلية طالب العلم

برنامج دليل

المجلس الثاني ٢٤/ ٥/ ١٤٤٦هـ[١]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا..

أما بعد فهذا المجلس الثاني من التعليق على كتاب حِلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الطالب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين.

يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

> **(الفصل الثاني: كيفية الطلب والتلقي:**
>
> **كيفية الطلب ومراتبه.**
>
> **من لم يُتقن الأصول حُرم الوصول، ومَن رام العلم جملة ذهب عنه جملة،**

(١) هذه التعليقات تفريغ صوتي وليست تأليفا، وتم إخراجها بهذه الصورة للتيسير علىٰ طلاب برنامج دليل، والله الموفق.

وقيل أيضا: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم، وعليه فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، لضبط أصله ومختصره على شيخ مُتقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذًا الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْث وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَة وَٰحِدَة كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلا﴾ [الفرقان: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]

فأمامك أمور لا بد من مراعاتها في كل فن تطلبه:

- حفظ مختصر فيه، وضبطه على شيخ مُتقن.
- عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.
- لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.
- اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.
- جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه، حتى تفيض للمطولات بسابلة موثقة.

وكان من رأي ابن العربي المالكي ألّا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، ويقدم تعليم العربية والشعر والحساب ثم ينتقل منه الى القرآن، لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تساعد على هذا، وأن المقدَّم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر ينقاد للحكم فإذا تجاوز البلوغ صعُب جبره، أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط).

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الفصل كيفية الطلب والتلقي.

وبيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه لا بد من إتقان الأصول، وذكر العبارة المشهورة: من لم يتقن الأصول حُرِمَ الوصول، يعني إذا لم تتقن أصول العلم ستُحرم من الوصول إلى الغاية التي يريدها طلاب العلم، وهي أن يكون الطالب عالمًا ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به الأمة.

وقال أيضًا: من رام العلم جملةً ذهب عنه جُملة.

ما يمكن أن تحصّل العلم مرة واحدة، لا بد من التدرج، ويرجى أن يكون في هذا البرنامج -برنامج دليل- ما يعين طالب العلم على التدرج في الطلب، فأنتم كما ترون وسترون إن شاء الله تعالى أن هذا البرنامج قد رُتب على المتون المختصرة في عدة فنون من فنون العلم تكون كالأساس وتكون كالأصول لطالب العلم ليترقى بعدها إلى ما هو أوسع في العلم.

وذكر أيضًا: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم.

وذلك أن الطالب المبتدئ يحتاج إلى أن يُترفق معه في العلم فلا يعطى العلم مرة واحدة ولا يعطى المسائل الكبيرة قبل المسائل الصغيرة التي هي أساس لتلك المسائل، فهذا مما يؤدي إلى مضلة الفهم عنده.

واستدل لذلك بقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقُرْءَانا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْث وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وأيضا الآية التي بعدها في معناها.

فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ ينزل على نبيه ﷺ القرآن بحسب الحوادث والوقائع والمناسبات، وهو المؤيد بالوحي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما أنزل عليه القرآن جملة واحدة، فكذلك طالب العلم لا يأخذ العلم جملة واحدة لا بد من التدرج فيه.

وذكر أيضا قول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] ووجه الاستدلال بالآية أن من معاني هذه الآية أن القرآن يُقرأ بتُؤدة وتدبر وتأنٍّ، فكذلك العلم يؤخذ بالتأني والتدرج.

وذكر الشيخ أيضا أن كل علم تريد أن تطلبه لا بد لك من حفظ مختصر فيه، وهذا فيه التأكيد على الحفظ.

والأمر الثاني أن يُضبط على شيخ متقن، يعني متقن لهذا المختصر أو لهذا الفن، ويضاف أيضا: أن يكون هذا الشيخ أمينا، ولا بد من هذا، أن يتقن الفن الذي يُعلّمه وأن يكون أمينا في التعليم، وذلك أن الطالب المبتدئ يتلقى كل ما يقول الشيخ، فإذا لم يكن الشيخ أمينا على العلم ربما علمه شيئا مخالفا للحق، يعني لو جاء طالب مبتدئ وقال له الشيخ: هذا الحديث رواه البخاري. وهو لم يروه البخاري، هل يستطيع الطالب المبتدئ أن يعرف هذا الأمر؟ ما يعرف، فلهذا ينتبه، لا بد أن يجتمع في الشيخ الذي يعلّم أن يكون متقنا لهذا الكتاب الذي يدرّسه وأن يكون أمينا على العلم فلا يبلّغ إلا ما تثبت وتحقق منه.

والأمر الثالث، قال: عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

مثلا طالب علم مبتدئ في الفقه يقول مباشرة أقرأ في المغني، وكتاب المغني يذكر فيه الموفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الخلاف العالي بين المذاهب، بل يذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال الصحابة والتابعين والأئمة وأدلة كل قول والمناقشات، هل يمكن لهذا الطالب أن يفهم علم الفقه بهذه الطريقة؟ نقول: لا يمكنه ذلك؛ لأن هذه الطريقة غير صحيحة.

فلا بد أولا أن يضبط متنا من متون الفقه عند الحنابلة مثلا، ثم يترقى حتى يصل إلى مرتبة يتمكن معها فهم كتاب المغني إذا قرأه.

ذكر أيضا: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

هـذا مر معنـا في آخر جملة ذكرها الشـيخ في الـدرس الماضي، قال: مَن ثبَت نبَت.

وذكـرت لكم أن بعض الناس يمكن أن نسـميه: ذوّاقا، اليـوم يبدأ في متن يحفظ فيه، ثم بعدما يحفظ ربع المتن أو ثلثه يضجر ويتركه، ويذهب إلى متن آخـر، وكذا في قـراءة الكتب، وفي حضـور الدروس، فهذا مـا يحصّل، يمضي عليه الزمان هكذا مُتقطعا.

ويقول الشيخ: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، أولا قبل أن تحفظ في هذا المختصر أو تدرس هذا الكتاب لا بد أن يكون عن مشاورة لأهل العلم، ولهذا فالطالب المبتدئ ليس هو الذي يختار، لا، يذهب إلى شيخه ويقول: أنا أريـد أن أطلـب العلم، أريد أن أطلـب فن العقيدة أو الفقـه أو الحديث، ما هو الكتاب المناسب لحالي؟ يقول له الشيخ: اقرأ الكتاب الفلاني.

فهذا جاء عن مشـورة، وإذا كان عن مشـورة من شـيخه الذي يثق به فهذا لا ينبغـي له أن يتنقل، والشـيخ ينبغي أن يختار له مـن المتون ما هو الأفضل، لأن المتـون كثيرة، يعني مثلا في الفقه هل أبـدأ بحفظ عمدة الفقه للموفّق، أم أخصر المختصرات لابن بلبان، أم زاد المستقنع للحجاوي، أم دليل الطالب لمرعي الكرمي؟

كلهـا مختصـرات مفيدة، لكـن أيها الأفضـل؟ أيها الأحسـن؟ هذا محل اختلاف في وجهات النظر.

فـإذا قال لك الشـيخ: احفـظ هذا المتـن وادرس هذا المتن تلتـزم به حتى تحصّل، وأنت بإذن الله إذا استمررت سواء في هذا المتن أو في هذا المتن إلى أن تفرغ منه هو أولى من أن تبدأ بمتن أفضل لكن لا تسـتمر، فخُذ بوصية شـيخك واعمل بما يوجهك إليه واستمر في الطلب حتى لا تتقطع في طلبك للعلم.

ذكر أيضا: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

اقتنـاص الفوائـد وتقييدها إما أن يكون من قراءتـك للكتب وإما أن يكون بما تسمعه من المشايخ الذين تدرسُ عليهم.

فمثـلاً إذا كنـت تقرأ كتابـًا، إذا مرت بك فائدة في غير مظنتهـا، أما الفائدة التي في مظنتها فلا حاجة لتقييدها.

فمثلاً أقسـام المياه، ينقسم الماء إلى ثلاثة أقسـام، هل تحتاج أن تقيّدها؟ معروفة ومباشرة، تفتح كتاب الطهارة، باب المياه: تجد هذه المعلومة.

لكن لو مرت بك مسـألة عقدية في كتاب فقهي، هل هذه مظنة لها؟ مسألة عقدية مباشرة ينتقل ذهنك إلى كتب العقيدة، هذه الفائدة جاءت في غير مظنتها، في كتـاب من كتب الفقـه، هنا تأخذها وتضعها في موضعهـا من كتب العقيدة، مثال ذلك: لو مرت بك مسألة في الاستسقاء بالنجوم والأنواء، يذكرها الفقهاء في آخر باب الاستسقاء، باب الاستسقاء في الفقه، في آخره يذكرون مسألة تتعلق بالاستسـقاء بالنجوم، لـو قال: مُطرنا بنوء كـذا، يذكرها الفقهـاء، هذه في غير مظنتها، خذ هذه الفائدة واذهب إلى كتاب التوحيد، باب ما جاء في الاستسقاء بالنجوم وقيّد هذه الفائدة، وقس على هذا بقية الفوائد.

مع مضي الزمن، بعد خمس سنوات أو عشر سنوات أو أكثر ستجد بعض الفوائـد قُيّدت أنت لا تذكر متـى قيدتها، ولو تركتهـا في حينها لذهبت عليك،

قل مثل ذلك لو قرأت في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية تمر بك فوائد، في كتب ابن القيم تمر بك فوائد، وغيرهما من أهل العلم، إذا مرت الفائدة في غير موضعها وغير مظنتها خذها وضعها في مكانها.

أيضا من باب تقييد الفوائد، بعضهم -وهذا يعني كان في السابق قبل الحاسب الآلي- يضع طالب العلم عنده دفاتر خاصة، هذا الدفتر يُقيد فيه فوائد العقيدة وهذا الدفتر يُقيد فيه فوائد الحديث وهذا فوائد الفقه، إلى آخره، كلما مرت به فائدة يكتبها بيده في الدفتر الخاص بها.

أنتم اليوم يسر الله لكم، تدخل على الشاملة وتقص وتلزق وتضع الجزء والصفحة فالأمور ميسرة، لكن لا شك أن من يعاني في العلم أكثر يثبت العلم في قلبه أكثر، فإمكانك الآن أن تجعل لك مجلدا في الجهاز وتقسّم هذا المجلد إلى ملفات، والفوائد التي تمر بك في الفقه تضعها في الفقه، وفي الحديث في الحديث، وهكذا في بقية الفوائد، مع الزمن ستجد أنه قد اجتمعت عندك فوائد كثيرة جدا.

من الطرق أيضا تقييد الفوائد على الكتاب نفسه، الكتاب هذا حلية طالب العلم، أليس الشيخ سيأتينا يتكلم عن المبتدعة والتحذير منهم، هل يرِد في ذهنك أن كتابا في آداب طالب العلم يُذكر فيه كلام وفوائد ونقول في التحذير من المبتدعة؟ الأصل أنك إذا أردت البحث عن البدع والكلام عليها سينصرف الذهن الى كتب العقيدة والكتب الخاصة في البدع، لا يرد في الذهن أن تبحث في كتب آداب طلب العلم.

الفائدة إذا جاءتك في غير مظنتها، خذها وقيدها على غلاف الكتاب من الداخل، وتكتب رقم الصفحة التي وردت فيها الفائدة، وقس على هذا بقية

الكتب التي تقرؤها، فإذا لم تقيد الفوائد فإنها تذهب ولا يحتاج أن تقيد الفائدة كلها لأن المكان ضيق، وإذا كانت الفائدة طويلة ضع لها عنوانا تستنبطه أنت من الكلام، مثلا أن تقول: حكم كذا وكذا، لأن الشيخ تكلم عليها مثلا في خمسة أسطر أو في صفحة أو صفحتين، لكنك عرفت كيف تصل إلى هذه الفائدة، هذه أمور مهمة جدا، ولذلك أحيانا تجد بعض طلبة العلم إذا تكلم في محاضرة أو في موضوع علمي تجده يأتيك بفوائد ونفائس تتعجب منها، أليس كذلك؟

تقول كيف؟ لو حضّر، لو جلس أسبوعا أو أسبوعين وحضّر لهذه المحاضرة لا يمكن أن يأتي بهذه النفائس، هذه ما جاءت في يوم وليلة، هذه من التراكم في القراءة وجرد المطولات -طبعًا إذا تأهل لجرد المطولات- والفوائد التي يسمعها من أشياخه يقيدها، إذا جاءت الحاجة إليها وجدها قد قريبة، وسهل الوصول إليها، وإلا أحيانًا قد تترك بعض الفوائد من غير تقييد، ثم تذكر أنك قد مرت بك فائدة، أين مرت بك؟ لا تدري، لأن الحفظ يخون الإنسان، ولهذا لا بد من العناية بالتقييد.

قال بعد ذلك: جمع النفس للطلب والترقي فيه.

يعني لا بد أن تكون الهمّة عالية في طلب العلم، تكون همتك أن تكون إماما ينفع الله عَزَّوَجَلَّ بك أمة الإسلام، لا لأجل الدنيا ولا لأجل أن تُصدّر ويقال الشيخ فلان، لا، وإنما لأجل أن تكون من حماة الشريعة والذب عنها، ولأجل أن تعمل بالشريعة، وأن تعلّم الناس دينهم، لترفع ما بهم من جهالة عظيمة، لا بد من هذا، تكون الهمة عالية لأجل أن تترقى في مراتب العلم.

ثم ذكر المؤلف مسألة تتعلق بـ هل يبدأ طالب العلم بفن واحد حتى يتقنه ثم ينتقل إلى فن ثانٍ حتى يتقنه، وهكذا؟ أو يدرس أكثر من علم في آن واحد؟

الـذي عليـه العمل الآن هـو أنه يبدأ بعـدة علوم، في المـدارس والمعاهد والجامعات والمساجد، أنه يبدأ بعدة علوم لكن يبدأ متدرجا في كل علم.

(وكان مـن أهل العلم من يدرّس الفقه الحنبلي في زاد المسـتقنع للمبتدئين، والمقنـع لمن بعدهم للخلاف المذهبي، ثم المُغني للخلاف العالي، ولا يسـمح للطبقة الأولى أن تجلس في درس الثانية، وهكذا، دفعا للتشويش.

واعلم أن ذكر المختصرات في المطولات التي يؤسس عليها الطالب والتلقي لدى المشـايخ تختلف غالبا من قطر إلى قطر، باختلاف المذاهب وما نشـأ عليه علماء ذلك القطر من إتقان هذا المخصر والتمرس فيه دون غيره.

والحـال هنا تختلف مـن طالبٍ إلى آخـر باختلاف القرائـح والفُهوم، وقوة الاسـتعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقُّده، وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيـب والأخـذ بحفظ القـرآن الكريم يمـر بمراحل ثلاث لدى المشـايخ في دروس المساجد، للمبتدئين ثم المتوسطين ثم المتمكنين).

ذكـر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أهل العلم مـن كان يدرّس في الفقه الحنبلي كتاب زاد المسـتقنع، للحجـاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى سـنة ٩٦٨ للهجرة، وذكـر أيضا كتاب المُقنـع، وهو للموفق ابن قدامة، يذكر الروايتين والوجهين والقولين في بعض المسـائل، لكن لا يذكر الأدلة، وقد ألَّف الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربعة كتب هي مرتبة بحسب مستوى الطلاب:

- الكتـاب الأول: عمدة الفقه، وهذا اقتصر فيه على قول واحد، ولا يذكر الاسـتدلال لكل مسـألة، إلا أنه يذكر في كل باب دليلا من القرآن أو من السنة، والغالـب أن يذكر من السـنة لكن أحيانا يذكر من القـرآن، ليعوّد الطالب على الاستدلال، لكنه لا يستدل لكل مسألة، وهذا الكتاب يصلح للمبتدئ.

ثم كتاب المقنع، وهو أعلى مرتبة من العمدة، يذكر كما ذكرت قبل قليل في بعض المسائل الروايتين والوجهين ليعود الطالب على الخلاف، لكنه لا يذكر أدلّة.

ثم كتاب الكافي، وهو أعلى مرتبة من المقنع، يذكر فيه الخلاف في مذهب الحنابلة فقط، ويستدل للأقوال في المذهب، لكن لا يذكر الخلاف العالي.

ثم كتاب المُغني في شرح مختصر الخِرَقي، وهو أعلى المراتب، وهو في الخلاف العالي، يذكر أقوال الفقهاء في المسألة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والأئمة الأربعة، ويذكر ربما رأي الظاهرية، ثم يذكر أدلة المخالفين، هكذا طريقته، فإذا فرغ من أدلة المخالفين قال: ولنا. يعني أدلتنا نحن الحنابلة، فيستدل لرأي الحنابلة، فإذا فرغ من أدلة الحنابلة يعود إلى أدلة المخالفين التي ذكرها أولا ثم يناقشها ويجيب عنها، وهذه طريقة حسنة في عرض المسألة الخلافية، فكتاب (المغني) هو لمن وصل في العلم مرتبة متقدمة، وأحيانًا رَحِمَهُ اللَّهُ قد يخالف مذهب الحنابلة فيقول: والصحيح مذهب مالك، وأحيانًا يقول: وسنة رسول الله ﷺ أحق بالاتباع، وهذا يدلك على أنه لا يتعصب لمذهبه، فنحن ندرس الفقه ونعتني بكتب الفقه لكن يكون بين عينيك اتباع الدليل، وهذا لا يتأتى للمبتدئ، ولهذا لا بد -كما سيأتي في كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن تأخذ العلم عن الأشياخ، ربما أني استرسلت في هذا، الفقه في كل مذهب تجد فيه مسائل مرجوحة من حيث الدليل، هذه لا يعرفها الطالب المبتدئ، ومسائل أحيانا ليس عليها عمل، والفتوى في بلدك على خلافها.

أعطيك مثالا لهذا.

عند الحنابلة رواية هي المذهب عندهم كما في الإنصاف أن النجاسة إذا

أصابت الثوب مثلاً لا بد من غسلها سبع مرات، لا يطهر إلا بسبع غسلات، حتى لو أن هذا الثوب الذي أصابه بول -أجلكم الله- غسلناه مرة أو مرتين فطهُر، فلا يوجد للبول أثرٌ فيه، ومع ذلك يرى الحنابلة أنه لا بد من سبع غسلات، هذا قول، واجتهدوا في هذا -رحمهم الله- لكن هل هذا عليه الفتوى؟ لا، هل نلزم الناس بهذا؟ لا، إذن هذا من يعرفه؟

هذا لا يمكن أن يعرفه الطالب المبتدئ، لا بد من أخذه عن شيخ يقول لك هذه المسألة صورتها كذا ودليلها عند الحنابلة كذا، ولكن هذا القول مرجوح في الدليل والذي عليه العمل هو كذا وكذا، هذا تستفيده أنت في عملك، في اتباعك، كيف تعمل في هذه المسائل وأنت لا تدري هل هي راجحة دليلا أو ليست براجحة.

ذكر الشيخ بعد ذلك المختصرات والمطولات التي يؤسس عليها الطالب في التلقي، قال إنها تختلف من قُطر إلى قُطر، وفيما يتعلق بالفقه فينبغي لطالب العلم أن يتفقه على المذهب السائد في بلده، فلو جاءنا شخص من المغرب وقال: أبدأ الفقه بأي متن؟ قلنا: ارجع إلى مشايخك المالكية؛ لأنهم مالكية في المغرب، وانظر الى متن يرشحونه لك وتبدأ بحفظه ودراسته على الشيخ.

ولو جاءنا طالب من الباكستان، عندهم مشتهر أي مذهب؟ الحنفي، نقول: خذ لك متنا من متون الحنفية تحفظه وتدرسه على الشيخ.

جاءنا شخص شافعي في إندونيسيا أو ماليزيا، هناك ينتشر المذهب الشافعي، نقول: خذ متنا من متون الشافعية يرشحه لك شيخك؛ لأن المتون كثيرة كما عرفتم، وتدرسه على الشيخ وتحفظه.

وعندنا مذهب الحنابلة، هذا لا إشكال فيه، وليس هذا من التعصب في

شيء أبدا، بل هذا الطريق نوع من التمذهب المجمع عليه بين أهل العلم، لكن الإشكال أن هناك من الناس من يربط بين التمذهب والتعصب.

لا إشكال أن يكون الإنسان متمذهبا، لو قلت لكم: أنا حنبلي، وأنتم حنابلة، فيه إشكال؟ ما فيه إشكال.

الإشكال في ماذا؟ أن تتعصب للحنابلة وتأتيك أقوال عندهم مخالفة للدليل الواضح البيّن وتقول لا أنا أبقى على المذهب لا أخرج عنه، هذا باطل ولا يحل شرعا، لكن أتمذهب بمعنى أنني أتفقه على هذا المذهب وأعرف أصول المسائل، ثم إذا ظهر لي أن قول المذهب مرجوح -سواء كنت متأهلا للترجيح أو بواسطة شيخي- أترك القول المرجوح في المذهب وآخذ قولا في مذهب آخر يدل عليه الدليل.

ينبغي أن لا نربط بين التمذهب والتعصب، لكن لما أن كثيرا من المتمذهبين لمذاهبهم صاروا يتعصبون جاء من يذم التمذهب ذما مطلقا، وإلا فكبار أئمة الإسلام كانوا ينتسبون الى مذاهب ولا يرون في ذلك غضاضة، يعني مثلا عندك شيخ الإسلام ابن تيمية، ما رأيكم؟ متمذهب أو غير متمذهب؟ متمذهب، ويعد من علماء الحنابلة، وإذا قال: قال الأصحاب، ماذا يعني إذا قال الفقيه الأصحاب؟ ماذا يريد؟ يعني الحنابلة، فهم أصحابه.

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: قال أصحابنا، ابن عبد البر المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف متنًا في الفقه المالكي، وهو كتاب الكافي في فقه أهل المدينة، كتاب فقهي مجرد على مذهب الإمام مالك، مع أن ابن عبد البر يخرج عن المذهب في مسائل، وابن تيمية يخرج عن المذهب.

النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقيه محدث عالم معروف ألفَ في الفقه الشافعي كتاب

منهـاج الطالبيـن، متن فقهي مجرد مثل زاد المسـتقنع عندنا وغيره، ومع ذلك كان يخرج عن المذهب في مسائل، وهذا يُعرف من شروحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المقصود أن كل قُطر يناسبه كتب معينة، وهذا كله بعد الرجوع إلى المشايخ.

الطالب:

(في التوحيد ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع، ثم كشف الشبهات، ثم كتاب التوحيد، أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، هذا في توحيد العبادة، وفي توحيد الأسـماء والصفات: العقيدة الواسطية ثم الحموية والتدمرية، ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فالطحاوية مع شرحها).

هذا الكلام يتعلق بالمتون التي يبتدئ بها الطالب في العقيدة، وهذا واضح بيّن، لكن هناك رأي لبعض مشايخنا وهو أن كشف الشبهات يكون بعد كتاب التوحيد، لماذا؟

الشـبهات إذا عرضـت على الطالب فإذا لم يكـن متأصلا في علم التوحيد فيخشى عليه أن يتأثر بها، لأن الشُّبه خطافة، وقد يَفهم الشُّبَهة ولا يفهم الجواب أحيانا إذا لم يكن متأصلا في هذا العلم، فحينئذ قال بعض مشايخنا: يبدأ بكتاب التوحيد؛ لأنه كالتأصيل لهذا العلم، ثم يدرس كتاب كشف الشبهات، بل كان بعضهم يتحرج أن يدرس كشف الشبهات لطلاب لم يتدرجوا بالقواعد الأربع وثلاثة الأصول وكتاب التوحيد.

الطالب:

(وفي النحو: الآجرومية ثم مُلحة الإعراب للحريري ثم قطر الندى لابن هشام وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل)

شـيخنا الشـيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ينتقل من الآجرومية إلى الألفية

مباشرة، يرى أن هذا اختصار للطالب، ولو اتسع وقته للسير على ما ذكر الشيخ بكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فهذا أيضا مفيد.

وفي الحديث: الأربعين للنووي ثم عمدة الأحكام للمقدسي ثم بلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فالدخول في قراءة الأمات الست وغيرها.

الدخول في قراءة الأمات، يقال الأمات لغير العقلاء، والأمهات للعقلاء، فمقصود الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في الحديث يتدرج، الأربعين النووية وعمدة الأحكام -وهذه إن شاء الله تأخذونها في هذا البرنامج بحمد الله- وإن شاء الله تعالى بعدها بلوغ المرام، ثم المنتقى للمجد ابن تيمية، طويل، والمجد ابن تيمية من علماء الحنابلة، ثم بعد ذلك تدخل في المطولات، في الصحيحين والسنن الأربع ومسند أحمد ونحوها، فينتبه طالب العلم، لا يأخذه الحماس فينتقل لحفظ الصحيحين مثلا أو جرد المطولات وهو لم يمر على هذه الكتب.

الطالب:

> **(وفي المصطلح نخبة الفكَر لابن حجر ثم ألفية العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفي الفقه مثلا آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم زاد المستقنع للحجاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أو عمدة الفقه، ثم المقنع للخلاف المذهبي والمغني للخلاف العالي، ثلاثتها لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ)**

لكن لو قيل ما هو الأفضل من مختصرات الحنابلة أن يبدأ به الطالب؟

فيقال: الأقرب زاد المستقنع للحجاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وذلك أن كتاب زاد المستقنع عناية العلماء به كبيرة جدا جدا، سواء العناية به أو العناية بأصله، فهو زاد المستقنع في اختصار المقنع.

والمقنع للموفق كما تقدم، فإن نظرنا إلى أصله وهو المقنع تجد العناية الكبيرة من العلماء به، بل يقول الحنابلة: أول ما ألف الخِرَقي مختصره المشهور -وهو أول مختصر في فقه الحنابلة- عكف عليه العلماء وشُرح بشروح كثيره جدا، فلما جاء الموفق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ستمائة وعشرين وألف مختصر المقنع: عكف من جاء بعده على المقنع وتركوا الخِرَقي.

فالعناية به كبيرة جدا، تجد مثلا الشرح الكبير لابن أخيه، ابن أبي عمر، شرحه في شرح نفيس جدا، استمد مادته أو أكثرها من المغني.

وبرهان الدين ابن مفلح، شرح المقنع في المبدع شرحا نفيسا.

وابن المنجّى، شرحه في كتاب الممتع في شرح المقنع، ولا تخلط بينه وبين الشرح الممتع لشيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ذاك الشرح الممتع وهذا الممتع، ومن فوائده ومن مزايا هذا الكتاب لابن المنجّى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه نص في مقدمته على الاستدلال لكل مسألة يذكرها، سواء الاستدلال النصي من القرآن والسنة والأثر، أو الاستدلال العقلي، هذه ميزة لهذا الكتاب.

أيضا كتاب الإنصاف، للمرداوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ماذا يريد بالخلاف هنا؟ الخلاف المذهبي، أحيانا تريد أن تعرف ما هو المشهور من المذهب، ما هو الصحيح من المذهب، يعني ما هو مذهب الحنابلة في المسألة، تجد عدة أقوال، عدة روايات عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جاء المرداوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى في القرن التاسع وألف هذا الكتاب الذي تعب عليه في تحرير مذهب الحنابلة، فهذا الكتاب هو عمل على المقنع، كل مسألة يذكرها صاحب المقنع فإنه يحرر فيها الكلام ويبين هل هو المذهب أو ليس هو المذهب، فالكتاب نفيس وينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، يعني شيخ

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ له أثر كبير فيمن جاء بعده من الحنابلة، فينقلون كلامه كثيرا.

الشاهد من هذا أن زاد المستقنع معتنى به من جهة نفس الكتاب ومن جهة أصله وهو المقنع، يعني إذا نظرنا إلى زاد المستقنع تجد عليه عدة شروح وحواشي من أشهرها: الروض المربع، الكتاب المشهور الذي يُدرس في الجامعات الآن، الروض المربع في شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع.

وجاء الشيخ عبد الرحمن بن قاسم المتوفى ١٣٩٢ هـ ووضع عليه الحاشية النفيسة التي طبعت في سبعة مجلدات، الحاشية المشهورة هذه، وهي الأشبه بالشرح، لا يكاد يترك جملة إلا ويحشّي عليها، وكحّله وجمّله بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية وكلام ابن القيم، وربما كلام أئمة الدعوة النجدية، فهذه عناية كبيرة بالكتاب.

أيضا حشّى عليه الشيخ عبد الله أبابطين مفتي الديار السعودية في زمانه، والشيخ عبد الله العنقري أيضا، والآن تجدون شروحا كثيرة، طبعا شيخنا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح الزاد في الشرح الممتع، وهناك حواشي وهناك عناية وهناك تخريج للأحاديث، والآن كثرت العناية به، فكتاب بهذه القيمة لا شك أنه يفيدك يا طالب العلم، أنت إذا حفظت الزاد إن شاء الله سوف ترتبط به إلى أن تموت، لأنك لا بد أن تراجعه لتضبطه، مثلما أنك ترتبط بالقرآن إلى أن تلقى الله عَزَّوَجَلَّ، لو تركت القرآن لتفلت، فهذا الكتاب زاد المستقنع إذا أشكلت عليك فيه عبارة لو كان هذا المتن ليس مخدوما، ما تجد له شروحا إلا شرحا أو شرحين، ولا يوجد عليه حواشي، تبقى عندك إشكالات كثيرة، بخلاف ما إذا كان الكتاب مخدوما من قِبل أهل العلم، كيف والكتاب هو مخدوم وأصله مخدوم أيضا وهو المقنع، فلا شك أن هذا من المرجحات لهذا الكتاب على غيره.

ولذلك إذا أشكلت عليك مسألة ممكن أن ترجع لشروح المقنع، وهذا قد يخفى على الطالب، قد يرجع إلى شروح الزاد، وقد لا يجد بغيته، فيرجع حينئذ إلى مظنتها في شروح المقنع، إذا أردت أن تعرف الصحيح من المذهب في عبارة ذكرها صاحب الزاد، لأن ترتيب الزاد على ترتيب المقنع في الغالب، فترجع إلى مظنتها بيسر وسهولة وتجد بُغيتك.

الطالب:

(وفي أصول الفقه ورقات الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ثم روضة الناظر لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفي الفرائض الرحبية مع شروحها، والفوائد الجلية...)

في الفرائض الرحبية مع شروحها، الرحبي متوفى في القرن السادس، ولهذا اعتنى بها العلماء، هو شافعي المذهب ولكن شُرحت هذه المنظومة من الشافعية ومن غير الشافعية أيضا، وهناك منظومة مؤلفها متوفى في أول القرن الثالث عشر، وهو البرهاني، تسمى منظومة القلائد البرهانية، وتتميز على الرحبية بأنها أخصر منها في الأبيات، تنقص خمسين بيتا تقريبا، ومع كونها أقل أبياتا فهي أتم منها في الموضوعات، وهذا من العجب، لأن الرحبية فيها ما يسمونه بالحشو، لكنه كما يقال حشو جميل، قال:

والثلثـــــان وهمـا التمامُ فاحفـظ فـكل حافـظٍ إمـامُ

قوله فاحفظ فكل حافظ إمام ما علاقته بالفرائض؟ حشو، ما يفيدني شيئا في الفرائض، لكن يفيدني في الحث على الحفظ، أليس كذلك؟ فهو حشو جميل.

فإذا أردنا الأخصر فهي البرهانية، والبرهانية العناية بها أقل، توجد لها شروح لكنها قليلة، لكن الرحبية لا شك أن العناية بها كبيرة جدا، وذكر

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتاب الفوائد الجلية هذا لشيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهو كتاب منثور نافع.

الطالب:

(وفي التفسير: تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفي أصول التفسير: المقدمة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وفي السيرة النبوية مختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفي زاد المعاد لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

وفي لسان العرب العناية بأشعارها كالمعلقات السبع والقراءة في القاموس للفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولات مثل تاريخ ابن جرير وابن كثير وتفسيرهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم ومحرراتهم في الاعتقاد).

أنبه إلى أن زاد المعاد قد يفهم الطالب أنه من كتب السيرة، وهو أوسع من هذا، نعم في المجلد الأول ذكر شيئا من سيرة النبي ﷺ، ولكن بعد ذلك ذكر هديَه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أبواب العلم، فعنوان الكتاب: زاد المعاد في هَدي خير العباد، ذكر هديه في الطهارة وهديه في الصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك، إلى آخر الأبواب التي هي من تقسيم الفقهاء، إلى أن ختمه في المجلد الأخير وذكر فيه ما يتعلق بالأنكحة والطلاق والمعاملات ونحوها، فهو كتاب من أنفَس الكتب، ومشايخنا يعتنون به، قُرئ على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسجد والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع فوائده وطبع في كتاب لطيف.

***

الطالب:

(وهكـذا كانت الأوقات معمورة في الطلب ومجالس العلم بعد صلاة الفجر إلـى ارتفاع الضحـى، ثم تكـون القيلولة قبيل صـلاة الظهـر، وفي أعقاب جميع الصـوات الخمـس تعقـد الـدروس، وكانوا في أدب جـم وتقدير بعـزة نفس من الطرفيـن على منهج السـلف الصالح -رحمهم الله تعالى-، ولـذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمع غفير، والحمد لله رب العالمين.

فهـل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسـة المختصرات المعتمدة، لا على المذكرات، وفي حفظها لا على الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم، وفي خلوّ التلقين من الزغل والشوائب والكدر سيرٌ على منهاج السلف، والله المستعان)

نعم ذكر أن دروس العلماء في ذلك الزمان كانت عامرة، فذكر أن بعد الفجر دروسـا إلى ارتفـاع الضحى، ثم بعـد كل فرض تكـون دروس، طبعا لم يكن هنـاك تعليم نظامي، لـم تكن هناك مدارس ولا جامعات إلا في آخر الزمان لما فتحت المعاهد العلمية ثم بعد ذلك الكُليات الشـرعية، لكن قبل ذلك، الجيل الـذي كان فيه الشـيخ عبد العزيز ابن بـاز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أدركوا التعليـم النظامي، درسـوا كغيرهـم في أثناء الصغـر في الكتاتيب ثـم بعد ذلك التحقوا بالدراسـة عند المشـايخ فكانت المجالس عامرة ،حتى ذُكر أن الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل سـبع سـنوات يخرّج دفعة، إذا جلس عنده الطالب سـبع سـنوات تأهل للقضاء والتعليم والفتوى، ولذلك الشـيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما بدأ يدرس على الشـيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من عام ١٣٥٠ هـ تقريبـاً إلى عام ١٣٥٧ هـ عين الشـيخ قاضيا في الدلم، في سـبع سنوات حصّلوا، لكن كانت الأوقات عامرة.

النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كنت أحضر في اليوم اثني عشر درسا، وقد بارك الله في وقتي.

يحضر اثني عشر درسا مع التحضير لها وضبطها ومراجعتها، وقد يكون فيها حفظ للمتون، اثنا عشر درسا في اليوم، يعني كم في الأسبوع؟

اليوم لو كان عندنا طالب علم يحضر اثني عشر درسا في الأسبوع قلنا هذا ما شاء الله!

فينبغي أن تكون الهمة عالية، العلم لا يحصّل إلا بصبر وبتعب، تعب في تحصيله وتعب في تبليغه، ولهذا يوطن طالب العلم نفسه على التعب، لكن هذا التعب إذا أخلص النية فيه سيحصّل به أجراً عظيماً عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو تعب مشوب بلذة، وهذه اللذة هي التي تدعو إلى الاستمرار، يعني تُشكل عليك مسألة أحياناً وتبحث وتبحث ربما ساعتين أو ثلاثا، تقلب في الكتب، ما هي فرحتك إذا وجدت بُغيتك؟ أعظم من فرح أهل الدنيا بأموالهم، ما تقارَن، فأنت يا طالب العلم يحصل لك فرحة ولذة وأجر، ماذا تريد أكثر من هذا؟

الطالب:

(وقال الحافظ عُثمان بن خرّزاد، المتوفى سنة ٢٨٢ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عُدمت واحدة فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه.

قلت -أي الذهبي-: الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا نحويا لغويا زكيا حييا سلفيا، يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات، بنيّة خالصة وتواضع، وإلا فلا يتعنّ).

لا يتعنّ: يعني لا يتعب نفسه.

وهذا لا شك أنه منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حث على الهمة العالية، لكن أنبه إلى ما ذكره الشيخ في المقطع السابق، ما ذكر من المذكرات، يعني طالب العلم لا ينبغي له أن يدرس العلم على مذكرات، وإنما يدرس من كتب أهل العلم، ومن الخطأ الموجود الآن عند طلاب الجامعات أو المعاهد أو حتى في المدارس أن يُترك الكتاب الرئيس ويؤتى بملخصات أو بمذكرات، طيب هذه المذكرة الآن هل ما فيها من العلم مضبوط مراجع ومدقق؟ الغالب أنه غير مراجع، هب أنه مراجع من الأستاذ، هل أنا الآن أربط الطالب بمذكرة؟ إذا أراد الإنسان أن يتكلم في العلم، هل يصلح أن يقول: قال فلان في المذكرة؟ ما يصلح، ثم تبقى من كلام المعاصرين، في مسائل تكلم فيها المتقدمون، والأصل في أخذ العلم أن يؤخذ عن المتقدمين

طبعا كلام المعاصرين فيه تفصيل وكتب المعاصرين فيها تفصيل، إن كانت المعلومة عند المتقدمين فلا أعزوها إلى المعاصرين، مثال ذلك لو أردت أن أحرر مذهب الحنابلة من أين أحرره؟ من كتب الحنابلة المتقدمين أو من اعتنوا بهذا وإن كانوا من متأخري الحنابلة، لا أحرر مذهب الحنابلة من عالم معاصر، هذا هو الأصل.

جاءتني مسألة نازلة، الميت الدماغي هل هو ميت حقيقة أو ليس ميتا؟ التأمين ما حكمه؟ وغير ذلك من النوازل، هذه نرجع فيها إلى المعاصرين، لا إشكال.

فالمقصود بهذا أن المعلومة إن وجدت عند المتقدمين فخذها من المتقدمين، إذا لم تجدها عندهم لا مانع أن تأخذها من المعاصرين.

ذكر أيضا: وفي خلو التلقين من الزغل، ما معنى الزغل؟ هو الذي لا يحتاج لـه كثيرا، ولهذا قال الشـيخ: وفي خلـو التلقين من الزغل والشـوائب والكدَر كل هـذه لا تحتـاج إليها، أحيانـا تكدر عليك وتعطلك، قال: سـير على منهج السلف، معناه أن منهج السلف هو الإعراض عن هذه الأمور.

الطالب:

(تلقي العلم عن الأشياخ.

الأصـل في الطلـب أن يكون بطريـق التلقين والتلقي عن الأسـاتيذ والمثافنة للأشـياخ والأخـذ من أفواه الرجـال لا من الصحف وبطون الكتـب، والأول من باب أخذ النسـيب عن النسـيب الناطق، وهو المعلم، أما الثـاني عن الكتاب فهو جماد فأنّى له اتصال النسب؟ وقد قيل: من دخل في العلم وحده خرج وحده، أي من دخل في طلب العلم بلا شـيخ خرج منه بـلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذن من تعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم، إلا مَن شـذّ مثل علي بن رضـوان المصري الطبيب المتوفى سـنة ٤٥٣ هـ وقد رد عليـه علماء عصره ومن بعدهم.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ترجمته له: ولم يكن له شـيخ بل اشـتغل بالأخـذ عن الكتب، وصنف كتابـا في تحصيل الصناعة من الكتب وأنها أوفق من المعلميـن، وهذا غلط، وقد بسـط الصفدي في الوافي الـرد عليه، وعنه الزَّبيدي في شـرح الإحياء عن عدد من العلماء، معللين له بعـدة علل، منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه، السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهي معدومة عند المعلـم، وهي التصحيف العارض من اشـتباه الحروف مع عـدم اللفظ، والغلط

بزوَغـان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب أو فسـاد الموجـود منه، وإصلاح الكتاب وكتابـة مـا لا يقرأ، وقراءة ما لا يُكتَب، ومذهب صاحب الكتاب وسـقم النسـخ ورداءة النقـل، وإدمـاج القارئ مواضع المقاطـع، وخلط مبـادئ التعليم، وذكر ألفـاظ مصطلـح عليها في تلـك الصناعة، وألفـاظ يونانية لم يخرجهـا الناقل من اللغـة، كالنورس، فهـذه كلها معوقة عن العلم، وقد اسـتراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم.

وإذا كان الأمـر على هـذه الصورة فالقراءة على العلمـاء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أوردنا بيانه.

قـال الصفـدي: ولهذا قـال العلماء: لا تأخـذوا العلم مـن صحفي ولا من مصحفـي، يعني لا تقـرأ القرآن على من قرأ من المصحـف، ولا الحديث وغيره علـى من أخـذ ذلك مـن الصحـف، والدليل المـادي القائـم على بطـلان نظرة ابـن رضوان أنك ترى آلاف التراجم والسـير على اختلاف الأزمان ومر الأعصار وتنوع المعارف مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ، ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شـذرة من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف، كما في العزّاب من الأسفار لراقمه.

وكان أبو حيان محمد بن يوسـف الأندلسـي، المتوفى سـنة ٧٤٥ هـ إذا ذكر عنده ابن مالك يقول: أين شيوخه؟

وقال الوليد: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريما يتلقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب دخل فيه غير أهله.

وروى مثله ابن المبارك عن الأوزاعي.

ولا ريـب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سـيما في ذلك

العصـر، حيث لم يكن بعدُ نقط ولا شـكل، فتُصحف الكلمـة بما يُحيل المعنى، ولا يقـع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجـال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم بخلاف الرواية من كتاب محرّر.

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا كما في المقدمة له، ولبعضهم:

من لم يشافه عالما بأصوله •• يقيناتُهُ في المشكلات ظنونُ

وكان أبو حيان كثيرا ما ينشد:

يظن الغمر أن الكتبَ تهدي •• أخا فهمٍ لإدراك العلومِ
وما يدري الجهول بأن فيها •• غوامضَ حيرت عقل الفهيمِ
إذا رُمت العلوم بغير شيخٍ •• ضللت عن الصراط المستقيمِ
وتلتبس الأمور عليك حتى •• تصير أضل من تومَا الحكيمِ)

ذكر الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصـلا مهمًا في طلب العلم، وهـو أن يُتلقى العلم عن أهله وهم الأشـياخ، كما مر معنا، أن يدرس الكتـاب على عالم متقن، وعرفنا أنه لا بد أن يكون أمينا.

وكـون الإنسـان يحصـل العلم بنفسـه يرجـع للكتـب حتى لـو كان ذكيا وحافظتـه قوية فإنه لا بد أن تشـكل عليه بعض المسـائل، ولهذا أورد الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الـرأي الغريب الذي تبناه علي بن رضوان في أن أخذ العلم عن الكتب يقدَّم على أخذه عن الأشـياخ، رد عليه العلماء بردود واضحة بيّنة تبين بطلان هذا الرأي.

ومما يـدل على ذلك ما تقدم من ضرب المثال في الفقه، تمر بك مسـائل مرجوحة ليس عليها عمل ولا فتوى، كيف سـتعرف هذا وأنت مبتدئ إلا عن طريق الشيخ الذي يعلمك.

أيضا تصور المسائل، وهذه مسألة مهمة، سواء المسائل العقدية أو المسائل الفقهية أو غيرها، كونك تتصور المسألة التصور الصحيح هذا قد يكون مشكلا عند بعض الطلاب فيفهم المسألة فهما آخر، غير المسألة المرادة، وهذا يترتب عليه إشكال؛ لأن الدليل إنما هو للمسألة على الفهم الصحيح وليس على الفهم الخطأ، وهذا لا يمكن إلا أن يكون عن طريق الأشياخ.

أيضا مصطلحات تمر بك في أثناء هذا الكتاب وأنت مبتدئ، لا يمكن أن تعرف معنى هذا المصطلح، ولا تتمكن من معرفة الكتب التي تبين معاني هذه المصطلحات، فتحتاج إلى شيخ يبيّن لك معنى هذا المصطلح، وقس على هذا.

إذن نخلُص من هذا من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا بد أن يؤخذ العلم عن أهله.

بعض العلوم قد يكون الأمر فيها سهلا، مثل السيرة، فتؤخذ بالقراءة، وإن كان مع ذلك قد يمر بك مواضع فيها إشكال، لكنه أهون، كذلك كتب التاريخ يمكن لطالب العلم أن يقرأ فيها بدون شيخ، وكذا كتب الأدب، الأدب النافع المفيد، يقرأ فيه الطالب، هذا كله في الغالب تمشي الأمور بالقراءة، وهذا عليه عمل أهل العلم، لكن فنون العلم التي هي أصول العلم كالعقيدة والحديث والفقه ونحوها هذه لا أبد أن يأخذها عن الأشياخ.

ذكر بعض الأبيات المتعلقة بهذا وذكر في آخر بيت:

وتلتبس الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الْحَكِيمِ

«توما» هذا يضرب به المثل في الجهل المركب، وذلك أن الجهل على قسمين:

جهل بسيط وجهل مركب، الجهل البسيط أن يكون الإنسان جاهلا ويعلم أنه جاهل، كما لو سئل الشخص، متى فُتحت مكة؟ فقال: لا أدري.

هذا جاهل بسيط، هو لا يدري متى فتحت مكة ويعلم أنه جاهل.

الثاني: الجاهل المركب، وهو الذي يجهل ويجهل أنه يجهل، فيُسأل مثلا: متى فتحت مكة؟ يقول في السنة العاشرة من هجرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

هذا جاهل، لأنها في السنة الثامنة، ويجهل أنه جاهل، لأنه يظن أن عنده علم أنها السنة العاشرة، والأمر على خلاف ذلك، فهذا مثل يضرب بتوما الحكيم.

الطالب:

(الفصل الثالث: أدب الطالب مع شيخه:

رعاية حرمة الشيخ.

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداء من الكتب بل لا بد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من العثار والزلل: فعليك إذن بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطُّف، وخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه والتحدث إليه وحسن السؤال والاستماع وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه، ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك أو إلحاح عليه في جواب، وتجنب الإكثار من السؤال لا سيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تُنادِه باسمه مجردا أو مع لقبه في قولك: يا شيخ فلان، بل قل: يا شيخي أو يا شيخنا، فلا تسمّه؛ فإنه أرفعه في الأدب، ولا تُنادِه بتاء الخطاب أو تناديه من بعد

من غير اضطرار، وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] الآية.)

طبعا الكلام هنا واضح إن شاء الله، لكن الاستدلال بالآية في قوله تعالى ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]

فُسرت هذه الآية: لا تنادوه باسمه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما ينادي بعضكم بعضا.

وإذا كان هذا في الأدب مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو معلم البشرية العلم والخير فكذلك كل من يعلم العلم والخير فإنه ينبغي أن يُتأدب معه ولا ينادَى باسمه المجرد.

الطالب:

(وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: يا فلان أو يا والدي فلان، فلا يجمُل بك مع شيخك.

والتزم توقير المجلس وإظهار السرور من الدرس والإفادة به، وإذا بدا لك خطأ من الشيخ أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سببٌ لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالما).

هذه مسألة، إذا أخطأ الشيخ، هل ثَمّ أحد سالم من الخطأ؟ لا أحد يسلم من الخطأ، كونه أخطأ لا تقُل هذا الشيخ كيف يخطئ هذا ما يُحسن، ثم تترك طلب العلم عليه، طيب هل ستجد شيخا لا يخطئ؟ لا يمكن هذا.

طيب كيف تنبه الشيخ على الخطأ؟

الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا كان الدرس مسجلا وتكلم الشيخ بكلمة واتضح عندك أنه أخطأ...

طبعا هذا متى؟ إذا كان هناك يقين أنه أخطأ، وإلا فقد يظن الطالب أن الشيخ أخطأ والصواب مع الشيخ وليس مع الطالب، وهذا هو الأصل طبعا.

لكن لنفرض أنه تيقن خطأه، وهذا يحصل أحيانا بسبق لسان، الإنسان بشر، قد يريد الشيخ أن يقول: لا يجوز كذا فيقول: يجوز كذا، ولم ينتبه ويمشي في الكلام، أنت الآن دورك أنك تنبه، كيف تنبه؟ بطرق:

يمكن أن تسأله في آخر الدرس نفس المسألة، قل: ما حكم كذا وكذا يا شيخ؟ فيجيب عليها بالجواب الصحيح، فإذا أجاب بالجواب الصحيح معناها أن الكلام الأول كان سبق لسان.

ويمكن أن يقال: سمعنا منك أنك قلت كذا... سيقول: هذا سبق لسان.

هنا عالجنا الموضوع بأدب مع أهل العلم، كل هذا في تأدّبنا مع مشايخنا.

الطالب:

(واحذر أن تعامله بما يُضجره، ومنه ما يسميه المولدون: حرب الأعصاب، بمعنى امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل)

ما معنى الكلام المولَّد؟ أي الذي أصيلاً في لغة العرب.

هذا يحصل من بعض الناس أنه يريد أن يمتحن الشيخ، يقول: أسأله هل يعرف أو لا يعرف؟ يمتحنه في قوته العلمية، هذا لا يجوز، هذا من سوء الأدب، أنت تسأل لتتعلم وتستفيد، ولا تسأل لتمتحن الشيخ.

ولهذا إذا ظهر للشيخ بالقرائن أن هذا الشخص يسأل لهذا الغرض السيئ فحقه أن لا يجاب على سؤاله أو أن يُزجر أحيانا لأجل أن يتأدّب ويرتدع غيره.

***

الطالب:

(وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك فإنه أدعى لحُرمته وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك، إلى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك، وفاء لحق شيخه، في أبوته الدينية، أو ما تسميه بعض القوانين باسم الرضاع الأدبي، وتسمية بعض العلماء له بالأبوة الدينية أليَق، وتركه أنسب.

واعلم بأنه بقدر رعاية حُرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق.

تنبيه مهم: أعيذك بالله من صنيع الأعاجم والطرقية والمبتدعة الخلَفية من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي وتقبيل الأكتاف والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة، سيدي مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد، وانظر ما يقوله العلامة السلفي محمد البشير الإبراهيمي الجزائري المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في البصائر، فإنه فائق السياق)

نعم، قصده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا أن توقير الشيخ يكون من غير غلوّ، وقد جرت العادة في بلادنا في توقير المشايخ أننا نسلم عليهم ونقبل رؤوسهم، هذا هو الذي جرى عليه العمل، وأما تقبيل اليد فلو اعتاده الناس فلا بأس به فإنه ثبت أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قبلوا يد النبي ﷺ.

والصوفية يحصل منهم أشياء مخالفة للشرع مع أشياخهم من التبرك بهم بل ربما أنهم يتبركون ببصاقهم وعرقهم ونحو ذلك أجلَّكم الله، وكل هذا من التبرك الممنوع في الشرع.

فالمقصود من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشيخ يُوقر ولكن التوقير اللائق به من غير غلو.

الطالب:

(رأس مالك أيها الطالب من شيخك القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين فهو ربح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك فتقع في الشناعة من حيث لا تدري وكل من ينظر اليك يدري، فلا تقلده بصوت ونغمة ولا مشي وحركة وهيئة، فإنه إنما صار شيخا جليلا بتلك، فلا تسقط أنت بالتبعية له في هذا).

التعلم من الشيخ بأخذ العلم عنه وأيضا بأخذ السمت والهَدي والخُلق ونحو ذلك، يعني ما يؤخذ العلم فقط، ولهذا لا بد أن تجتمع هذه الأمور في الشيخ، ولهذا كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحضر حلقته عدد كبير، الذين معهم المحبرة هم عدد قليل، هم الذين يقيدون العلم، طلاب علم، أما البقية فيستفيدون من سمته ومن هديه ومن كريم خُلقه ،ولهذا فإن الملازمة لأهل العلم مهمة جداً لطالب العلم، يعني فضلاً عن كونه يأخذ العلم بتأصيل وبطريق صحيح أيضًا يأخذ منهم رجاحة العقل وحسن التصرف في المواقف، كالفتن مثلاً، ويستفيد منهم الهدي ويستفيد منهم العمل بالعلم وغير ذلك مما هو معلوم، بخلاف من يأخذ العلم من الكتب أو من يأخذ العلم من السماع للدروس.

وفي زمان طلبنا للعلم -ولا نزال نطلب العلم- كنا نطلب عن طريق الأشرطة إذا لم يتهيّأ لنا الحضور، وهذا إذا تعذّر الحضور نعم فهو فيه خير، لكن إذا أمكن الحضور عند الشيخ لا شك أن هذا هو الأولى، نعم بعض الناس يكون في بلاد نائية بعيد عن العلماء هذا بحمد الله فُتح له باب أن يستمع إلى الدروس عن طريق هذه الوسائل الحديثة، ولكن أنبه إلى أن سماع الدروس إذا احتجت إليه لا

يكون بأن تسمع وأنت في السيارة، هذا ما تحصل لك به إلا فائدة قليلة، إذا أردت أن تستمع للشرح يكون الكتاب بين يديك ومعك القلم وتستمع للشيخ، فكلما مرت بك فائدة تقيد الفائدة حتى ينتهي الدرس، وهذه الطريقة وإن كان يفوت فيها الحضور وسؤال الشيخ عما يشكل مثلا والاستفادة من سمته لكنها لها فائدة من جهة الإسراع في الإنجاز، لو كنت في كل يوم تستمع إلى درس أو عندك وقت تستمع درسين بإمكانك تنهي الآجرومية في ثلاثة أيام أو أربعة أيام، انظر الإنجاز السريع، هذا فتح من الله عَزَّوَجَلَّ، وتكون من طلاب الشيخ ابن عثيمين وإن لم تدركه، هذا ما كان عند السلف، يعني ولدت بعد أن توفي الشيخ أو بعد الشيخ ابن باز ومع ذلك طلبت عليهم العلم وحضرت دروسهم لأجل هذا التسجيل وهذا الفتح من الله عَزَّوَجَلَّ فهذه فرص أنا أقول يعني الطالب يوازن، دروس تُحضر في المساجد ودروس أخرى يستفاد منها بالسماع، فتجمع بين هذا وهذا وتشغل وقتك إذا جاءت الإجازات يا إخوة ليست سفريات وروحات واستراحات، وسيأتيكم الآن الربيع والرحلات في البر، طالب العلم إن سافر يكون شيئا محدودا، لكن غالب الوقت في أي شيء؟ في الطلب.

طيب في الإجازة ولنفرض ما ثمّة دروس، توقفت الدروس، قل أنا أرجع إلى الأشرطة أو إلى السماع وأنجز لي متنين أو ثلاثة، ولا يمنع بعد ما أنتهي منها لو عقدت فيها دروس أحضرها مع المشايخ لكن يكون عندي حصيلة علمية.

المقصود أن طالب العلم يشغل وقته فيما ينفعه.

الطالب:

(نشاط الشيخ في درسه يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه وجمع نفسه وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور والاتكاء وانصراف الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

حق الفائدة ألا تساق إلا إلى مبتغيها ولا تُعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدّث بعض الفتور من المستمع فليسكت فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع.

ثم ساق بإسناده عن زيد بن وهب قال: عبد الله، حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فانزع).

الشيخ ينشط في الدرس إذا وجد من الطلاب التفاعل والاهتمام والحرص، أما إذا وجد الطلاب غير مهتمين ويتململون فالشيخ يضعُف؛ لأن الشيخ بشر، وهذا يُلحظ في الدراسة النظامية، ربما المساجد بحمد الله تعالى ما يأتي للدراسة فيها إلا راغب، لكن في الدراسة النظامية أحيانا تجد الطلاب يتململون، كل لحظة ينظر في الساعة ومتى تنتهي المحاضرة، وحينئذ تجد في نفسك أيها المعلم الضعف، فتعطيهم القدر الأدنى من الواجب في تعليمهم، وإذا وجد المعلمُ الطلابَ حريصين على العلم، يسألون عن ما أشكل عليهم، نشط حينئذ، وأعطاهم قدرا زائد عما يجب لهم من العلم.

الطالب:

(الكتابة مع الشيخ حالة الدرس والمذاكرة.

وهي تختلف من شيخ إلى آخر، فافهم.

ولهذا أدب وشرط: أما الأدب فإنه ينبغي لك أن تُعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبتَ ما سمعته مذاكرة.

وأما الشرط فتشيرُ إلى أنك كتبته من سماعه من درسه).

هـذه أيضا مسـألة مهمـة، الكتابة مع الشـيخ، يعني بعض المشـايخ لا يريد لأحـد أن يكتـب، وأعتقد هذا يكـون قليلا، لماذا لا يريد لأحـد أن يكتب معه؟ من باب التورع، يقول: قد أخطئ فيُكتب عني شـيء ثم يحمل عني هذا الخطأ، أو أن الطالـب قـد يفهم خلاف كلامـي، ليس كل طالب يفهم كلام الشـيخ كما ينبغـي، فينهى أن يكتب أحد، يقول: عندكم الشـروح ارجعوا إلى كتب العلماء وخـذوا منها، أنا أوضح لكم فقط، هـذا إذا كان كذلك لا تكتب ما يقول، ما دام لم يأذن لك.

لكن الغالب أن المشايخ يأذنون بأن يكتب الطالب لأنهم يرون الطالب يقيد وهم يتكلمون فلم ينهوه عن ذلك، فهذا إقرار منهم بأنهم يجيزون الكتابة عنهم.

تنتبـه أيضا إلى الفرق بين ما كان يُنقل عن الشـيخ محررا من قِبله وما كان يلقيـه ثم أنت كتبته، الفـرق بين هذين، يكون عنده كتـاب، مثل الآن ننقل عن الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في كتابه حلية طالب العلم، كتاب محرّر وصدر في حياة الشيخ، مُراجع من قبله، لا إشكال.

لكن لو فرض أننا سمعنا من الشيخ بكر كلاما وقيدناه نحن، هل أقول: قال الشـيخ بكر أبو زيد هكذا، لا، أقول: سـمعت الشـيخ بكر أبو زيد يقول كذا وكذا.

لماذا؟ لأن أهل العلم يفرقون بين ما كان سماعـًا، يسمونه تقريرا، وما كان محررا من قبل العالِم.

وإذا رجعتم إلى فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شيخ مشايخنا مفتي الديار في زمانه تجد أن الشـيخ محمد بن قاسـم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي جمع هذه الفتاوى أحيانـًا يكتب في آخر الكلام: تقرير.

مـاذا يقصد بالتقرير؟ يقول: هذا سـمعته من الشـيخ، هذا بحسـب فهمي وتقييدي عن الشيخ.

بينما في مواضع أخرى فتاوى محرّرة من الشيخ مراجعة عليه أو خطابات تتضمن أحكاما شـرعية، هذه محرّرة من كلام الشيخ ومراجعة، إذن ينبغي لك أن تفرّق بين ما سمعته من الشيخ وبين ما كان من كلام الشيخ محرّرا، إذا كان سماعا لا بد أن تبين أن هذا سماع من الشيخ فلان.

أيضا فيما يتعلق بالأسـئلة، بعض الناس قد يتصل على الشيخ ويسأل عن مسألة فيفتيه الشيخ، والسائل يسجل كلام الشيخ، ثم ينشر.

فلا يجوز أن ينشـر كلامه إلا بعد اسـتئذانه، لأن بعض المسائل يناسب أن يكـون الكلام فيها خاصا لا عاما، وقد يَخص العالم بالعلم شـخصا لمناسـبة حاله، أما عموم الناس فلا يناسـب نشـر هذا الكلام بينهـم؛ لاحتمال أن كثيرا منهم قد ينزِّل الكلام على غير الحال التي سئل عنها العالم.

إذن لا بد أن تسـتأذن، أن تقول تأذن لي يا شـيخ أن أسجل وأنشر؟ إن قال لك نعم فنعم، وإلا فلا.

نقف على هذا، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.